شئ لزوم الشئ !

شكراً للرب الذي ملأ كنيستنا بالقديسين والشهداء العظماء الذين لا ترد شفاعتهم . والحق أنه لايوجد مثل القبطى في تكريمه واعتزازه بقديسى كنيسته المحبوبة . ويأخذ هذا التكريم أشكالاً عديدة ، أبرزها بناء الكنائس على أسماء القديسين وانشاء المقصورات التي تضم أيقوناتهم وأجسادهم المباركة ، فضلا عن نظم التسابيح والتماجيد والمدائح التي تروى سيرهم المضيئة . بينما يرى آخرون أن التكريم الحقيقي يظهر في التشفع بهؤلاء القديسين وتلمس بركاتهم وطلب وساطتهم في الضيقات .

ولكن بعض الناس لا يكتفون بهذا ، بل يرون أن المسيحي المؤمن لا يكرم قديسه المحبوب كما يجب إلا بحضور الموسم السنوى الذي يقام عادةً في أحد الكنائس أو الأديرة . ورغم التناقض في إطلاق اسم " المولد " على هذه المواسم حيث أنها تقام عادةً في ذكرى نياحة القديس أو إستشهاده ، إلا أن هذا لا يشغل بال هؤلاء ، فهم يرون في نصب الاحتفالات ونحر الذبائح وإقامة السهرات – الروحية طبعاً – أمراً أساسياً في إعلان حبهم لصاحب المولد ، فضلا عن المقاهى والبمب والمراجيح وألعاب النيشان فهذه أمور لا مفر منها . فإذا كان المولد شيئاً ، فهذه الأمور هى الشئ لزوم الشئ !

ويقيم الناس فترات طويلة في هذه المواسم ، وتتعارف الأسر المتجاورة في الغرف أو الخيام ، ويتبادل الزوار أكواب الشاي وأكياس الترمس ثم حلل المحشى ، وسرعان ما تتمدد العلاقات وتنبسط النفوس وتنفرج الأسارير ، ويرتبط الناس بوشائج المحبة – الروحية طبعا - !

وغريب حقاً ما أشاعه بعض هؤلاء الناس عن تخصصات للقديسين ! ، فهذا الشهيد متخصص في رد المفقودات ومن ضاع منه شئ يلجأ إليه وينذر نذرا محترما .. وذاك متخصص في شفاء الأمراض ، وهذا في حماية الأطفال ، وذاك في إزالة العكوسات وفك الأعمال السحرية ، وآخر في الشفاء من العقم .. ومن يعلم فربما تزداد القائمة ليصبح لدينا من هو متخصص في تخليص الجمارك ، وآخر في إنهاء أوراق السفر وثالث في إحضار عقود العمل من الخارج !! ، ويشهد الكاتب بنفسه أنه رأى صديقاً قبطياً ينذر نذراً لأحد الشهداء المكرمين ، إذا فاز ناديه المفضل في مباراة حاسمة في كرة القدم !!

ويستجيب كثيرون لهذه الأفكار ، ويتوقفون أمام مشاكل حياتهم في شلل ، فقد كتبوا المشكلة في ورقة وحشروها في الصندوق الزجاجى الذي يحوى رفات قديسهم المفضل . وقد شاهدت من يصرون على فسخ زجاج الأيقونة لوضع الورق بداخله ، ومن يثابرون وقتاً طويلاً محاولين إلصاق قطعة نقود بزجاج المقصورة ، وهو تصرف – في رأيهم – سليم تماماً ، إذ يستند إلى أن القديس يتذكر الملتصقين به وليس المبتعدين عنه !

وعبثا نحاول إفهام الناس أن الله لا يقدم لنا ما نستطيع نحن أن نفعله لأنفسنا ، وأن السماء لا تعين الكسالى ، وأن إكرام القديسين هو في الاقتداء بسيرتهم ، ولكن دون جدوى ، فهذا الكلام يعتبرونه هرطقةً وخروجاً على الرأي المستقيم ، وتحطيماً لقواعد الإيمان المصون، وإنا لله وإنا إليه راجعون !